

شعر الصنوبري في

ميزان البحث

سلوغة محمد

قسم اللغة العربية و أدابها

جامعة باجي مختار - عنابة

ملخص

نتوَّخى، في هذا المحور، معالجة مختلف الأطوار التي مرَّ بها شعر الصنوبري، في القرن العشرين؛ بدءًا بأول مقالة جادة نشرها كامل الغزّي سنة 1931م. تحت عنوان: « الشاعر الصنوبري » ⁽¹⁾ وانتهاءً بالحيز الذي خصصه نوري القيسي، وهلال ناجي، لشعر الصنوبري، سنة 2000م، في كتابهما: « المستدرك على صناع الدواوين » ⁽²⁾.

ونتوَّج هذا المجهود، الذي قام به هؤلاء الفضلاء، وغيرهم من الباحثين، بما وُفّق الباحث إلى تحصيله من شعر الصنوبري، وإضافته إلى المستدرّكات على الديوان الذي وُفّق إلى تحقيقه إحسان عباس سنة 1970م.

وسنخصّص لهذه الأشعار المتممة للديوان، أو المكملّة له، حيزًا خاصًا نختم به هذا المحور، الذي نزعّم أنه ثمرة سنين مضيّة، و زبدة مجهود متواصل، كان لنا فيه فضيلة التحصيل، والإضافة إلى التّيوّان المحقّق. وقبل هذا كله عمدنا إلى تصدير هذا المحور بكلمة مقتضبة، نحاول فيها إبراز منزلة الشاعر لدى أمراء عصره، وتبيين المكانة التي يحتلّها بين كوكبة أقرّانه من فرّاق شعراء القرن الرابع الهجري.

Résumé

As-sanawbari est l'un des plus important poètes Arabes du 4ème siècle. Ce poète n'a pas eu la considération qui lui revient de droit, en matière de recherches critiques, anciennes et modernes, et cela en dépit de sa contribution dans l'élargissement du champs de la poésie arabe et son enrichissement. C'est ce que nous avons essayé de rattraper dans cet article, dans le but de combler une lacune importante, et redorer le blason d'un poète longtemps victime d'oubli

جاء في الأثر أنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع بباب سيف الدولة الحمداني ⁽³⁾، من شيوخ الشعر، ونجوم الدهر، وإنما السلطان سوق يُجلب إليها ما يُنفق لديها. وكان أدبياً شاعراً محباً لجيد الشعر، شديد الاهتزاز لما يُمدح به ⁽⁴⁾ ويُعدّ شاعرنا الصنوبري ⁽⁵⁾ واحداً من هذه التّلة الأملعية، التي سطع نجمها عالياً في سماء القرن الرابع الهجري، ودوّى صداها، بكل علم وفن، أبهاء قصور هذا الأمير الشاعر،

التوافق إلى المعرفة، الذي جلب إليه مهرة عصره، في كل علم وفن: ألم يكن خطيبه ابن نباته الفارقي (6)، ومعلمه ابن خالويه (7)، ومطربه الفارابي (8)، وطباخه كشاجم (9) وخزان كتبه الخالديان (10)، والصنوبري، ومداحه المتنبي (11)، والاسلامي (12)، والوأواء الدمشقي (13)، والبيضاء (14)، والنامي (15)، وابن نباتة السعدي (16)، والصنوبري (17)؟!

يظهر، من عبارة مطالع البدور، أن الصنوبري، كان على دراية بإدارة شؤون المكتبات. ويضاف إلى هذه المهارة كونه أحد شعراء سيف الدولة المعدادين، فهو صنو عندليب العرب وسميه، وظني أن هذا يسير في شاعر كان يُسمى - في عرف النقد القديم - حبيباً الأصغر لجودة شعره (18).

والذي نصبو إليه، من هذه المقدمة المقتضبة، أن الصنوبري لم يحظ - على جلالة قدره في الشعر - بما يستحقه من اهتمام النقاد والباحثين. فهذا الشاعر الفذ، الذي يُعدّ أحد كبار رواد شعر الطبيعة في الأدب العربي، يحتل مكانة مرموقة بين شعرائها على مدى عصورنا الأدبية كلها. ولكن الشاعر، وعلى الرغم من هذه المكانة، التي لا يكاد ينازع فيها، ظل بنجوة من اهتمام الدارسين قديماً وحديثاً (19). فالأقلام التي سُحرت لدراسته، أو دراسة آثاره قليلة، بل قليلة جداً بالقياس إلى تلك التي تصدّت لدراسة من هم في رتبته ومنزلته، أو دونهما. ولعلّ هذا ما شجعنا على أن نميط اللثام عن الجادة منها، وأن نجعلها مدخلاً لدراستنا هذه، التي نسعى فيها إلى تبيان فضيلة السابق على اللاحق، أو اللاحق على السابق، وذلك بحسب الدراسة، أو الإضافة ...

وسننهج، في عرض ما وقفنا إلى الاطلاع عليه أو اقتناؤه، ونقدته، المسار التاريخي لصدور الدراسة، أو العمل الأكاديمي؛ من تحقيق، أو رسالة جامعية ... مقتصرين على الأعمال الحديثة الجادة (20). وتتمثل - في نظرنا - في الدراسات الآتية:

1- الشاعر الصنوبري:

عنوان مقالة نشرها كامل الغزي، في المجلد الحادي عشر من مجلة: المجمع العلمي العربي سنة 1931م. ومن أهم ما جاء فيها نُعَدّد:

أ- ذكر صاحب المقالة أنه جمع زهاء أربعمئة بيت من شعر الصنوبري.

ب- عثوره على مخطوط قديم، تحدّث فيه مؤلفه، باقتضاب، عن الشاعر الصنوبري.

ج- الإشارة إلى اختلاف القدماء في اسم الصنوبري، ونسبه، ووصفه مرة بالصيني، وأخرى بالضبيّ ..

د- الطعن في رواية المجموع، الذي عثر عليه صاحب المقالة، القائلة بوفاة الشاعر الصنوبري سنة 334 هـ. والقول بأنه كان حيا يرزق سنة 346 هـ (21).

هذا معظم ما جاء في مقالة: الشاعر الصنوبري، لكامل الغزي. وهي في مجموعها تركز على الشاعر دون شعره. ومع ذلك يبقى أن نسجل لصاحب المقالة فضيلة السبق في فتح باب البحث في الشاعر الصنوبري، ولفت الأنظار إليه، وإلى شعره. وليس من المستبعد أن هذه المقالة البكر أثارت قلم محمد راغب الطباخ، وشحذت قريحته فردّ عليها بمقالة ناقدة عنوانها:

2- آراء وأفكار حول مقالة: الشاعر الصنوبري:

في بحر سنة 1932م نشر محمد راغب الطباخ مقالة، في المجلد الثاني عشر، من مجلة المجمع العلمي العربي تحت عنوان: آراء وأفكار حول مقالة: « الشاعر الصنوبري »، حاول فيها صاحبها تصويب بعض ما طرحه كامل الغزي في مقالته السابقة الذكر. وتتمثل هذه الردود في النقاط الآتية:

أ- يقول محمد راغب الطباخ: وأما قول الأستاذ إن كلمة الضبيّ الواردة في ما ترجم له ابن عساكر، محرقة عن الصيني، وجزمه بأنه الصيني، فهو بعيد عن الصواب، وهو خطأ محض. والصواب أنه الضبيّ، كما قال ابن عساكر، وهكذا في تاريخ الذهبي الكبير، وهو نسبة إلى بني ضبة، وهي قبيلة من قبائل العرب. ويغلب. على الظن أنه لو كان الصيني لذكره ياقوت في كلامه على الصين، كما هو شأنه في نسبة المشاهير. ويدعونا إلى الجزم بأنه الضبيّ أن جدّ الصنوبري كان قاطنا في بغداد، وهو صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون، كما قاله ابن عساكر في أول ترجمته، فهو عراقي. وبني ضبة نزلت بلاد العراق، كما ذكر ذلك القلقشندي؛ حيث قال، ومن قبائل طابخة بنو ضبة، وكانت بالناحية الشمالية من نجد بجوار بني تميم، ثم انتقلوا، في الإسلام، إلى العراق. وهم الذين قتلوا المتنبي (22).

ب- وأقول: وممن صرّح بوفاته في هذه السنة، أي سنة 334 هـ الحافظ الذهبي في تاريخه. وأورد له من نظمه:

لا النوم أدري به ولا الأرق
 يدري بهذين من به رفق
 إن دموعي من طول ما استبقت
 كَلَّتْ فما تستطيع تستبِق
 ولي ملك لم تبد صورته
 مذ كان إلا صَلَّتْ له الحق
 نَوَيْتُ تقبيل نار وجنته
 وخفت أدنو منها فأحترق⁽²³⁾

ولقد ذكره أيضا في تاريخه العبر، في حوادث سنة (334 هـ). ونصراً عبارته:
 وفيها (أي توفي) الصنوبري الشاعر أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الضبي الحلبي.
 وشعره في الذروة العليا. وعلى هذا يكون الاعتقاد بأن الصنوبري كان حيا يرزق سنة
 346 هـ غلطا وسهواً في النقل. وعليه تكون وفاة الصنوبري في سنة 334 هـ أمراً
 محققاً لا ريب فيه⁽²⁴⁾.

ومما سبق ذكره ندرك أن هَمَّ صاحب المقال قد انصب على تصويب - حسب
 زعمه - ما ادعاه كامل الغزي في ما يتعلق بنسب الصنوبري، وبتاريخ وفاته، دون
 شعره.

ويمكن القول بأن ما نشره كامل الغزي كان من الحوافز الرئيسة التي دفعت
 محمد راغب الطباخ إلى تسخير قلمه لإمطة اللثام عن شاعر فذ قد طواه النسيان. وتوجَّح
 هذا المجهود بميلاد أول مجموع شعري للشاعر الصنوبري، وسَمَّه مؤلفه باسم:
3- الروضيات:

تعد هذه المجموعة النفيسة⁽²⁵⁾، التي صدرت سنة 1932م، بالمطبعة العلمية
 بحلب، أول محاولة جادة لجمع شعر الصنوبري، والتعريف به.

ولقد صدرها جامعها، محمد راغب الطباخ، بمقدمة تحدث فيها، بإسهاب، عن
 العلم والعلماء، والأمراء. ورأى فيها أن داء البلاد ودواءها، وحياتها ومماتها، بيد قادتها؛
 وهم العلماء والأمراء، فصالح الأمة بصالح هؤلاء. ومصادق ذلك في ما ورد في
 الحديث النبوي الشريف: « صنفان من الناس إذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد
 الناس. العلماء والأمراء »⁽²⁶⁾.

وينتقل صاحب الروضيات - بعد ذلك - إلى الحديث، بإطناب، عن مناقب سيف الدولة الحمداني، وعن سجاياه الكثيرة التي أهلتَهُ لأن يكون قبلة لأساطين العلماء، وكبار الأدباء، وفحول الشعراء، وواسطة عقد بني حمدان، والدرة اليتيمة في تاج دولتهم المرصع (27).

ويخلص - بعدها - إلى الكلام على أبي بكر الصنوبري، مشيراً إلى عناية الصولي بجمع شعره. ثم يقول: « وقد سمح لي الزمان بتلك الأمنية، فجمعت من بديع نظمه ولطيف أخباره وملحه جملة وافية تُعرب لك عن فضله الجَمِّ وأدبه الغزير، ورسوخ قدمه في صناعة القريض، وتنبّيك أن الصنوبري كان علماً من أعلام الشهباء، وقطباً من أقطاب الأدب في هذه البلاد، وأن مثله في فضله وأدبه لا ينبغي أن يبقى هو وشعره نسياً منسياً ملقى في زوايا الإهمال، قلّ من يعرفه، ويعرف شعره الرائق الرائع » (28).

هذه الأحكام لا تختلف كثيراً، في أسلوبها وجوهرها، عن تلك التي نعهدا لدى أقطاب تراثنا الأدبي، عند تصديهم لترجمة شاعر من الشعراء، أو أديب من الأدباء. والرأي عندي أن الوصول إلى مثل هذه الأحكام الكبيرة، من قراءة ستمائة بيت من شعر الصنوبري، يُعد ضرباً من ضروب الإعجاب والمغالاة، وإلا فكيف يكون حكم محمد راغب الطباخ بعد قراءة كامل شعر الصنوبري، وهو شاعر مكثّر ومبدع باتفاق من ترجم له ؟!

ونتبين هذا الكمّ الشعري الذي وفق محمد راغب الطباخ إلى جمعه وتخرجه، وكان مصدر هذه الأحكام القيميّة من قوله هو نفسه: « ولقد أربى ما جمعتّه من شعره على (600) بيت. وما كان ليخطر لي أن أجمع هذا المقدار، ولكن الله إذا أراد أمراً هتأ أسبابه، وذللّ صعايبه. ودعوت هذه المجموعة (الروضيات). وذلك لما علمته من أن الصنوبري ممّن نال شهرة واسعة في وصفه للرياض والأزهار وما شاكل ذلك » (29).

ويختم محمد راغب الطباخ هذه المقدمة، أو القسم الأول من الروضيات بذكر أول شعر نظمه الصنوبري، وارتضاه. وهو قوله:

ما حلّ بي منك وقت منصرف في
 ما كنت إلا فريسة التلف
 كم قال لي الشوق قف لتأنيه
 فقال خوف الرقيب لا تقف
 بسطت خطوي كرها وقد قبضت
 رجلي عن الخطو شدة الكلف
 فكان جسمي في زي منطلق
 وكان قلبي في زي منعطف⁽³⁰⁾

وبهذا يكون محمد راغب الطباخ قد أنهى القسم الأول من الروضيات. وكان قد خصّصه للحديث عن الأمير الحمداني، وعن الشاعر الصنوبري، وأخباره، ليشرح، بعد ذكر أول شعر قاله الصنوبري وارتضاه، في إيراد أشعار الروضيات وتخريجها. يتوزع القسم الثاني إلى ما يربو على (142) نصا شعريا يتراوح عدد الأبيات فيها بين الواحد وبين الرابع بعد المائة، لتؤلف، في مجموعها ما يربو على (600) بيت، كما سبق أن ذكرنا. وهي موزعة بحسب حرف رويها، على جلّ حروف المعجم العربي. وتشتمل الروضيات، بالإضافة إلى شعر الصنوبري، على أشعار جاء بها صاحب المجموع على سبيل المماثلة والموازنة، كما وردت في الأمهات التي استقى منها محمد راغب الطباخ أشعار الصنوبري، وذلك لإبراز منزلة الشاعر، وإظهار مدى تأثيره في فحول الشعراء المعاصرين له، أو المتأخرين عنه. ومن هذه الأشعار نذكر على سبيل المثال ما استقاه من بيتمة الدهر للثعالبي: قال السري الرفاء⁽³¹⁾، في وصف رقاص:

إذا اختلجت منكبه لرقص
 نزت طير القلوب إليه نزوا
 أفراس أنت أحسن من تتنّى
 على صنّج، وأملح من تلوّى

وهو من قول الصنوبري:

فمن متلو على نايه

ومن متثن على صنجه (32)

والظاهر أن محمد راغب الطباخ معجب أيما إعجاب بشاعرنا الصنوبري، وكأني به ما اهتدى إلى منقبة من مناقبه إلا أثبتّها في مجموعته وأشاد بها، وبخاصة إذا تعلق الأمر بمضاهاة الصنوبري بفحول الشعراء، في مختلف العصور الأدبية. ومن هذا القبيل نورد إيراداً لحكم، في تخريج الشعراء، يجعل فيه صاحبه روضيات الصنوبري عامة أساساً في نبوغ الشعراء وتخريجهم. ومصاص هذا الحكم: من روى حوليات زهير (33)، واعتذاريات النابغة (34)، وأهاجي الخطيئة (35)، وهاشميات الكميت (36)، ونقائض جرير (37)، وخمريات أبي نواس (38)، وتشبيهات ابن المعتز (39)، وزهديات أبي العتاهية (40)، ومراثي أبي تمام (41)، ومدائح البحتري (42)، وروضيات الصنوبري، ولطائف كشاجم، ولم يخرج إلى الشعر، فلا أشبَّ الله قرنه (43).

والذي نخلص إليه أن هذا المجموع المعروف بالروضيات، يُعدّ خطوة مهمة في إخراج جزء مقبول، من شعر الصنوبري، إلى النور، والتعريف به. كما يُعتبر البذرة الأولى التي أنتجت زرعاً وتمرّاً. وصاحب المجموع يدرك قيمة عمله هذا، وقيمة إحياء أحد فحول الشعر العربي، وبعثه من جديد. كما كان يُدرك أن شعر الصنوبري يحتاج إلى أقلام كثيرة تنهض بما بقي منه في طيات المخطوطات في المكتبات العربية وغيرها. يقول محمد راغب الطباخ: « هذا ما وفقنا لجمعه من شعر الصنوبري. ولا أعدم فاضلاً يأتي بعدنا له شغف بإحياء آثار الفضلاء فيزيد على ما جمعناه أو يظفر بتمام ديوانه فينهض لنشره » (44).

وفي بداية السبعينيات يوفق أحد أقطاب إحياء التراث العربي لتحقيق ديوان الصنوبري. وبمطابقة ما جمعه صاحب الروضيات من أشعار الصنوبري، بأشعار المخطوط المعتمد في التحقيق نجد أن حوالي (435) بيتاً شعرياً لم يرد في المخطوط (45). وهو كم لا يستهان به، يعود فضل جمعه وتخريجه إلى محمد راغب الطباخ صاحب المجموع الموسوم بالروضيات.

4- ديوان الصنوبري:

صدر محققاً سنة 1970م، عن دار الثقافة البيروتية. وقد قسمه المحقق إحسان عباس إلى ثلاثة أقسام؛ يشمل القسم الأول الأشعار التي تضمنتها النسخة المحفوظة بمكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتا، تحت رقم (202). وتقع في (182) ورقة، في كل ورقة (15) سطراً. وبعض القصائد مكتوب على حواشي صفحات المخطوطة. وتبدأ هذه النسخة بحرف الراء، وتنتهي بحرف القاف (46)، ويقع مجموع هذا القسم في (401) نص شعري بين اليتيم والقصيدة، ويربو مجموع الأبيات على (5500).

ولقد اعتمد إحسان عباس، في تحقيق هذا القسم، على فيلم للمخطوطة، كان معهد المخطوطات، بجامعة الدول العربية، قد أحضره (47).

ويشمل القسم الثاني على تكملة ديوان الصنوبري، ويضم (148) نصاً شعرياً، أو ما يربو على (900) بيت من شعر الصنوبري. جمعها المحقق من مصادر شتى ذكرها في الهوامش.

وأما القسم الثالث فيشتمل على الملحق، ويحتوي على (68) بيتاً من شعر الصنوبري، كان المحقق قد أضافها بعد أن طبع الديوان، نجد هذا في قوله: « بعد أن انتهينا من طباعة الديوان راجعنا كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار، لأبي الحسن الشمشاطي [...] فعثرنا على هذه القصائد. ومن الغريب أن المؤلف يدعو الشاعر أحياناً بالحلبي وأحياناً بالصنوبري وثلاثة يذكره باسمه. وقد أثبت ذلك كما ورد في المخطوطة المذكورة» (48).

ومصاص القول إن مجهود إحسان عباس قد أثمر بجمع حوالي ستة آلاف وثلاثمائة بيت، من شعر الصنوبري. وهو كمٌ معتبر، إلا أنه لا يفي بكل شعر الصنوبري الذي لا يقل عن ثمانية آلاف بيت، على حسب رواية ابن النديم التي تفيد بأن الصولي قد عمل شعر الصنوبري على الحروف في مأتي ورقة، فيكون المدون على ما التزم به ابن النديم من تحديد كل صفحة من الورقة بعشرين بيتاً ثمانية آلاف بيت (49).

وهذا يعني أن أزيد من ألف وسبعمائة بيت ما زالت في طيات الكتب، لم يهدد إليها المحقق. كما أنه لم يثبت في تخريج أشعار الديوان، ولا في ثبت المصادر والمراجع، المجموع الذي تركه محمد السماوي، المتوفى سنة 1950م، في خزانة كتبه التي خلفها بالنجف (50).

ولكن؛ ومهما يكن الأمر، فبهذا المجهود الجبار الذي قام به إحسان عباس، يكون الصنوبري قد بُعث من جديد لأن شعره هذا، وبهذا الكم المعتبر، يُمكننا، لا محالة، من معرفة شيء عن حياته، وعلاقاته بمعاصريه من ذلك - مثلا - أنه كان صديقا للشاعر كشاجم، وكانت بينهما مهادة، ومطارحات شعرية. كما تدل مراثيه في الحسين على أنه كان يتشبع. كما يمكننا من القول بأن أكثر شعره يتصل بوصف الرياض والأنوار والتغني بجمال الطبيعة، والعكوف على الذات. وله أهاج مقذعة فاحشة. إلا أن وصف الطبيعة هو الجانب الذي يلفت إليه الأنظار. وهذا - في اعتقادي - يكفي، من حيث المادة الشعرية، لإبراز البعد العقدي، والبعد الحضري لشعر الصنوبري.

5- الصنوبري شاعر الطبيعة:

كتاب صدرت طبعته الأولى سنة 1981م، عن الدار العربية للكتاب. ويظهر من بعض الصيغ الموظفة في مقدمته أنه أطروحة جامعية، تقدم بها صاحبها لنيل شهادة علمية جامعية. ويؤكد ما نذهب إليه ونغلبه العبارة التي وردت في تنمة ديوان الصنوبري، للطفي الصقال وذرية الخطيب. وهي: « كما تفضل الدكتور عبد الرحمن عطية، فوضع بين أيدينا دراسته عن الشاعر، والتي نال بها درجة الماجستير في الآداب، فوجدنا فيها ثمانية أبيات جديدة، ألحقناها بهذه التنمة » (51).

وبرجعنا إلى ثبت مصادر التنمة ومراجعتها تبين لنا أن عبد الرحمن عطية قد غيّر عنوان أطروحته، من: الصنوبري شاعر الروض، إلى: الصنوبري شاعر الطبيعة. فلقد ورد في الفهرست ما نصه: « الصنوبري شاعر الروض، الدكتور عبد الرحمن عطية، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة عين شمس (مخطوط) » (52).

ونرجّح أن هذه الدراسة عرفت النور، أول ما عرفت، في نهاية الستينيات، نستشف ذلك في قول صاحب الدراسة نفسه: « وفي عام 1970م وبعد انتهائي من هذه الدراسة بفترة وفق الأستاذ الدكتور إحسان عباس إلى نشر الجزء المخطوط من ديوان الصنوبري، فعمدت إلى تحويل أرقام الصفحات المحالة على المخطوطة إلى ما يماثلها من الديوان المطبوع » (53).

وتعني العبارة السابقة الذكر أن عبد الرحمن عطية لم يعتمد في دراسته هذه، الموسومة بالصنوبري شاعر الطبيعة، على الديوان المحقق، وإنما اعتمد مخطوطة تبدأ من جزء من حرف الراء، وتنتهي في جزء من حرف القاف. ونعتقد أن المخطوطة

المعتمدة في دراسة عبد الرحمن عطية، هي نفسها التي كانت نواة لديوان الصنوبري، الذي وُفق لتحقيقه إحسان عباس. فكلتاها تبدأ بالحرف نفسه، ألا وهو حرف الراء. وتنتهي بالحرف نفسه. ألا وهو حرف القاف (54).

وأما تصريح عبد الرحمن عطية بتحويل أرقام الصفحات المحالة على المخطوط، إلى ما يماثلها من الديوان المطبوع، يبقى متسماً بطابع العجلة والاضطراب؛ فعلى سبيل المثال يذكر عبد الرحمن عطية أن النص الشعري:

سأطريك بأشعار
تهيج الذكر للناس
توالى نظمها فيك
توالي ورق الآس (55)

موجود في الصفحة (434) من الديوان المطبوع. بينما نجده في الصفحة (170). وغير هذا كثير (56).

كما أن النصوص المعتمدة في دراسة عبد الرحمن عطية لا تطابق لفظا النصوص الشعرية المعتمدة في الديوان المطبوع. ولتوضيح هذه المسألة نمثل بالنصين الشعريين التاليين:

أ- يقول الصنوبري، بحسب رواية الدراسة:

في لون خد الشادن الغرير

جاءت فكانت ضرة الثغور (57).

ويقول بحسب رواية الديوان المطبوع:

في لون خد الشادن الغرير

جاءت فكانت ضرة البخور (58)

ب- يقول بحسب رواية الدراسة:

حبذا يوم أحمد

وخليج مزرد

كلنا باسط اليد

كديابيس عسجد

بين روح ومنجد

وحمام مُغرّد

نحو نيلوفر ندي

قضبها من زبرجد (59)

ويقول بحسب رواية الديوان المطبوع:

حبذا يوم أحمد	بين روض ومنجد
وخليج مُزرد	ونبيذ مُورد
وحمام مُفرد	كلنا بأسط اليد
نحو نيلوفر ند	كدنائير عسجد
(60) نصفها من زبرجد	

ففي المثال الأول يقوم الاختلاف بين النصين في اللفظتين: (الثغور) و(البخور). بينما يقوم الاختلاف بين النصين في المثال الثاني، في الألفاظ: (روح) و(روض). (كدبابيس) و(كدنائير). (قضبها) و(نصفها). هذا بالإضافة إلى التقديم والتأخير الحاصل في أنصاف الأبيات. ثم انفراد رواية الديوان المطبوع بنصف بيت: (ونبيذ مُورد). في الشطر الثاني من البيت الثاني.

ولكن هذا - في اعتقادي - لا ينقص من جهد الباحث ورغبته الملحة في دراسة الشاعر وشعره، وهذا يظهر جليا في محاور دراسته الطموحة التي تركز في الباب الأول من القسم الثاني على: وصف الطبيعة في الشعر العربي، والروضيات، والمائيات، والتلجيات، والفصليات، والطبيعة الحية، والأماكن والمدن.

وتركز في الباب الثاني من القسم الثاني على التشيع، والخمريات، والإخوانيات، وألوان من الوصف الاجتماعي. وأما الباب الثاني من القسم الأول فقد خصصه الباحث للشاعر الصنوبري.

ومصاص القول إن فضل عبد الرحمن عطية في دراسته هذه الموسومة بالصنوبري شاعر الطبيعة، يبقى قائما، فله فضيلة سبق في التعريف بالشاعر، وبموضوعات شعره. وهذا يحفز كل دارس لاحق على بذل الجهد، وشحن الهمة .. وحسبه أن يكون في طموح القائل:

فالطل قد يبدو أمام الوبل

والفضل للوابل لا للطل (61)

6- تنمة ديوان الصنوبري:

كُتِبَ صدر سنة 1971م في سلسلة: كنوز الشعر العربي، عن دار الكتاب العربي بحلب. قام بإنجازه الباحثان المحققان: لطفي الصقال ودرية الخطيب. وينقسم الكُتِب إلى:

أ- مقدمة.

ب- لاحقة.

ج- تنمة ديوان الصنوبري.

د- من الشعر المنسوب إلى الصنوبري.

هـ- تخريج ما لم يُخَرِّج من شعر الديوان. وهو تخريج ما لم يُخَرِّج من شعر الصنوبري في الديوان المطبوع، الذي حققه إحسان عباس. ويتفرّع هذا التخريج إلى فرعين:

1- تخريج الأصل.

2- تخريج التكملة.

وفي شأن التخريج يقول المحققان: « كما رأينا أن ننشر أيضا تخريج الشعر كله، سواء أكان الشعر في الديوان أم في تكملة، باستثناء ما خرّجه الدكتور المحقق في الهامش، وجعلناه بعد التّمة وقبل الفهارس العامة » (62).

ويُعدّ هذا التخريج مجهودا معدودا للمحققين، استدركا به بعض الإغفال الحاصل في تخريج نصوص الديوان المطبوع.

وتترجم (التّمة) بإيجاز، للشاعر الصنوبري، كما تقدّم له سبعا وخمسين مُقطّعة، يربو عدد أبياتها على المائة والخمسين، كلها جديدة، لم ترد في الديوان المطبوع ولا في تكملة.

وتحمل (التّمة)، كما أشرنا سابقا، مقدمة ولاحقة (63)، خُتِمت الأولى بقول المحققين: وبما أننا فقدنا الأمل بالعثور على نسخة مخطوطة من الديوان، فقد اتخذنا " الروضيات" أساسا لشعر الصنوبري، وعدّة أبياتها تربو على (600) كما ذكر صاحبها في مقدمته، وأردفناها بما تجمّع لدينا من شعر له منشور في بطون الكتب، تحت اسم (صلة الديوان)، وعددها (418) بيتا. وقد رتبنا القسمين على حروف المعجم لتسهيل المراجعة فيهما، وألحقنا بهما قسما خاصا لتخريج الشعر (64).

يظهر من العبارة السابقة أن المحققين كانا يعقدان النية على طبع ما تيسر لهما من شعر الصنوبري، بإضافته إلى ما وفق إلى جمعه محمد راغب الطباخ في الروضيات. ويبدو أن سعي المحققين لم يكتمل بالشكل الذي كانا يصبوان إليه، فلقد صدر الديوان محققاً قبيل اكتمال مشروعاتهما. مما دفع بهما إلى التريث، وإعادة النظر؛ نلني هذا في قولهما: لما انتهى عملنا في ديوان الصنوبري، وكدنا نباشر الطبع، ظهر الديوان محققاً من قبل إحسان عباس فتوقفنا عن العمل. ولدى مقابلة ما بأيدينا من شعر الصنوبري على الديوان المذكور، وجدنا أن هناك ما يزيد على (150) بيتاً من شعره لم ترد في الديوان، ولا في التكملة التي ألحقها المحقق به. فرأينا لزماً علينا أن ننشرها، مع المقدمة الموجزة التي كتبناها عن الصنوبري (65).

وبهذا العمل الجاد يكون صاحبنا (التتمة) قد أضاف ما يزيد على (150) بيتاً جديداً إلى شعر الصنوبري المطبوع، بالإضافة إلى تخريج أصل الديوان المطبوع وتكملته (66). ولكن، وبمقابلة النصوص الشعرية الواردة في التتمة، بمثيلاتها الواردة في الديوان المطبوع وتكملته وملحقه، ظهر لنا وجود تطابق بين بعض النصوص الشعرية. وهي:

1- النص الأول:

أ- التتمة:

وأطرّ الكأس ماءً من أبرقه
فأثبت الدرّ في أرض من الذهب
فسبح القومُ لمّا أن رأوا عجباً
نورٌ من الماء في نارٍ من العنب (67)

ب- الديوان:

كأنما الماء لما سال من يده
في كأسها فضة سالت على ذهب
ناهيك من فضة تجري على ذهب
نورٌ من الماء في نارٍ من العنب (68)

فالتطابق ظاهر في الشطر الرابع من النصين. هذا بالإضافة إلى أن إحسان عباس قد أورد النص بتمامه في الهامش. على النحو التالي:

وأَمَطَرُ الكَأْسُ ماءً من أَبْأَرْقِه

فَأَنْبَتَ الدَّرَ فِي أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

فَسَبَّحَ القَوْمُ لَمَّا أَنْ رَأَوْا عَجَبًا

نور من الماء في نار من العنب (69)

وعلى هذا النحو يكون التقاطع تاماً لا ريب فيه.

2- النص الثاني:

أ- التتمة:

ناهِيك من فضةٍ تَجْرِي عَلَى ذَهَبٍ

ماءٌ من النورِ في ماءٍ من اللهب (70)

ورد في التتمة بيتاً.

ب- الديوان:

ناهِيك من فضةٍ تجري على ذهبٍ

نورٌ من الماءِ في نارٍ من العنب (71)

وهو بيت خامس في مقطوعة من ستة أبيات، مطلعها:

ومجلس لا ترى في من يطوف به

إلا فتى صيغ من ظرفٍ ومن أدب (72)

والذي نخلص إليه، ونشيد به أن التتمة أثمرت بمائة وخمسين بيتاً جديداً من شعر الصنوبري. وهي في حد ذاتها ثمرة ثالثة جادت بها السنوات الأولى من السبعينيات: ديوان محقق. بتكملة وملحق، ودراسة جامعية، وتتمة ديوان الصنوبري. ولا نعدم فاضلاً يستدرك دُرر شعر الصنوبري وعيونه ..

هذا، وستكون لنا وقفة فاحصة للمستدركات على ديوان الصنوبري، نرجئها إلى دراسة لاحقة، نخصص لها مقالاً مستقلاً إن شاء الله.

- 1 مجلة المجمع العلمي العربي، مج 11، ص 485.
- 2 ج 1، ص 246.
- 3 علي بن عبد الله (303-356 هـ). الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 303.
- 4 الثعالبي، يتيمة الدهر، تحقيق مفيد محمد قميحة، ج 1، ص 37.
- 5 أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي (- / 334 هـ). شاعر اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار. وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة. نشر إحسان عباس مخطوطة يظهر أنها الجزء الثاني من الديوان، وأضاف إليها ما تفرق من شعره. انظر الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق إحسان عباس، ج 7، ص 379 والأعلام، الزركلي ج 1، ص 207.
- 6 عبد الرحيم بن محمد (335 - 374 هـ). اشتهر بالخطب الجهادية، والحث عليه. الزركلي، الأعلام، ج 3، ص 337.
- 7 الحسن بن أحمد (- / 370 هـ). لغوي من كبار النحاة. الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 231.
- 8 محمد بن محمد (260 - 339 هـ). موسيقي. الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 20.
- 9 محمود بن الحسين (- / 360 هـ). ولفتة كشاجم منحوتة من فنون كان يتقنها. الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 167 وما بعدها.
- 10 سعيد بن هاشم (- / 371 هـ). شاعر أديب. الزركلي، الأعلام، ج 3، ص 103. ومحمد بن هاشم (- / 380 هـ). شاعر أديب، الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 129.
- 11 أحمد بن الحسين (303 - 354 هـ). الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 115.
- 12 محمد بن عبد الله (336 - 393 هـ). نسبته إلى دار السلام بغداد. الزركلي، الأعلام، ج 6، ص 226.
- 13 محمد بن أحمد (- / 385 هـ). شاعر مطبوع. الزركلي، الأعلام، ج 5، ص 312.
- 14 عبد الرحمن بن نصر (- / 398 هـ). شاعر وكاتب مترسل. الزركلي، الأعلام، ج 4، ص 177.
- 15 أحمد بن محمد (309 - 399 هـ). تلو المتتبي في المنزلة والرتبة. الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 210.
- 16 عبد العزيز بن عمر (327 - 405 هـ). الزركلي، الأعلام، ج 4، ص 23.
- 17 الفخروسي مطالع البهور ونذر الأسرار، ج 2، ص 176.

- 18 ابن رشيق القيرواني، العمدة، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلال، ج1، ص156. وتحقيق محمد قرقران ج1، ص215.
- 19 عبد الرحمن عطية، الصنوبري شاعر الطبيعة، ص5
- 20 نستثني، من عملنا هذا، الإشارات التي نلغيناها في تواريخ الأدب أو ما شاكلها.
- 21 انظر ص484 وما بعدها.
- 22 للاستزادة انظر العباسي، معاهد التنصيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ج1، ص28.
- 23 ص53. وانظر الصنوبري، الديوان، تحقيق إحسان عباس، ص436.
- 24 انظر ص52 وما بعدها.
- 25 الحكم مأخوذ من إهداء المؤلف بخط يده، وتوقيعه في الصفحة الأولى. وهو: « أقدم هذه المجموعة النفيسة إلى الشاب الأديب السيد ممدوح حقي المحترم » المخلص راغب الطباخ.
- 26 ص3
- 27 انظر ص3 وما بعدها.
- 28 ص9.
- 29 ص9. وما بعدها.
- 30 ص18. وانظر الصنوبري، الديوان، تحقيق إحسان عباس، ص388. وفيه: (لم أقف).
- 31 السري بن أحمد بن السري (- / 366 هـ). شاعر أديب من أهل الموصل. كان عذب الألفاظ مفتنا في التشبيهات والأوصاف. الزركلي، الأعلام، ج3، ص81.
- 32 ص54 وما بعدها. وانظر الصنوبري، الديوان، تحقيق إحسان عباس، ص466.
- 33 زهير بن أبي سلمى (- / 13 ق هـ). حكيم الشعراء في الجاهلية، الزركلي، الأعلام ج3، ص52
- 34 زياد بن معاوية (- / 18 ق هـ). شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. وناقد تحتكم إليه الشعراء. الزركلي، الأعلام، ج3، ص54 وما بعدها.
- 35 جرويل بن أوس (- / 45 هـ) شاعر مخضرم عرف بالهجاء العنيف. لم يكد يسلم من لسانه أحد: هجا أمه وأباه ونفسه. الزركلي، الأعلام، ج2، ص118.
- 36 الكُميت بن زيد الأسدي (60 / 126 هـ). شاعر الهاشميين. كان عالما بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها. ثقة في علمه. الزركلي، الأعلام، ج5، ص233.

- 37 جرير بن عطية (28/ 110 هـ). أشعر أهل عصره. عاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم. وكان غفيا. وهو من أغزل الناس شعرا. الزركلي، الأعلام، ج2، ص119.
- 38 الحسن بن هاني (146/ 198 هـ). شاعر العراق في عصره. قال الجاحظ: ما رأيت رجلا أعلم باللغة، ولا أفصح لهجة من أبي نواس. الزركلي، الأعلام، ج2، ص255.
- 39 عبد الله بن محمد (247/ 296 هـ). مصنف وشاعر مبدع. وخليفة يوم وليلة. الزركلي، الأعلام، ج4، ص118.
- 40 إسماعيل بن القاسم (130/ 211 هـ). شاعر مُكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع. الزركلي، الأعلام، ج1، ص321.
- 41 حبيب بن أوس الطائي (188/ 231 هـ). شاعر أديب. وأحد أمراء البيان. يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة، غير القصائد والمقاطيع. الزركلي، الأعلام، ج2، ص165.
- 42 الوليد بن عبيد الطائي (206/ 284 هـ) شاعر كبير. يُقال لشعره سلاسل الذهب. وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم، و هم: أبو تمام، والبحتري، والمتنبي. الزركلي، الأعلام، ج8، ص121.
- 43 ص13. وانظر الغزولي، مطالع البدور. ج1، ص215.
- 44 ص80.
- 45 انظر عبد الرحمن عطية، الصنوبري شاعر الطبيعة، ص66.
- 46 مقدمة الديوان، ص6.
- 47 مقدمة الديوان، ص6.
- 48 هامش ص571.
- 49 الأميني، الغدير، ج3، ص369.
- 50 مجلة المخطوطات، العدد 4. ص228. وانظر سعود محمود عبد الجابر، الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، ص106.
- 51 ص22.
- 52 انظر ص105.
- 53 ص6.
- 54 ص6.
- 55 الصنوبري، شاعر الطبيعة، ص98.
- 56 انظر مثلا الإحالة رقم (53) من الصفحة 101.
- 57 ص100.

ص 20	58
ص 97 وما بعدها	59
ص 476.	60
الشريشي، شرح مقامات الحريري، ج 4، ص 220.	61
ص 21.	62
مقدمة ثانية للتممة كتبها المحققان بعد ظهور الديوان محققاً.	63
ص 18 وما بعدها.	64
ص 21.	65
ص 72 وما بعدها.	66
ص 33.	67
ص 455.	68
هامش ص 455.	69
ص 33.	70
ص 455.	71
ص 455.	72

قائمة المصادر والمراجع

- 1- الأميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1967م.
- 2- الثعالبي، بتيمة الدهر، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م.
- 3- ابن رشيقي القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000م.
- 4- ابن رشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد قزقران، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.
- 5- الرقيق القيرواني، المختار من قطب السرور في أوصاف الأنبياء و الخمر، اختيار نور الدين المسعودي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1976م.
- 6- الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة عشرة 1999م.
- 7- سعود محمود عبد الجابر، الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1981م.

- 8- ابن شرف القيرواني، أعلام الكلام، تصحيح عبد العزيز أمين الخانجي، مطبعة النهضة القاهرة، 1926م.
- 9- الشريشي، شرح مقامات الحريري البصري، المكتبة الثقافية، بيروت.
- 10- الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1982م.
- 11- الصنوبري، الديوان، تحقيق إحسان عباس، دار الكتب، بيروت، 1970م.
- 12- العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، 1947م.
- 13- عبد الرحمن عطية، الصنوبري شاعر الطبيعة، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1981م.
- 14- الغزولي، مطالع البدر في منازل السرور، مطبعة إدارة الوطن، مصر، الطبعة الأولى، 1299هـ.
- 15- لطفي الصقال ودريّة الخطيب، تنمّة ديوان الصنوبري جمع وتحقيق لطفي الصقال، ودريّة الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، الطبعة الأولى، 1971م.
- 16- محمد راغب الطباخ، الروضيات، المطبعة العلمية، حلب، 1932م.
- 17- نوري القيسي وهلال ناجي، المستدرك على صنّاع الدواوين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م.

المجلات

- 1- كامل الغزي، الشاعر الصنوبري، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد الحادي عشر، دمشق، 1931م.
- 2- محمد راغب الطباخ، آراء وأفكار حول مقالة: الشاعر الصنوبري، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد الثاني عشر، دمشق، 1932م.
- 3- حسين علي محفوظ، المخطوطات العربية في العراق، مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الرابع، مصر، 1958م.
- 4- ضياء الدين الحيدري، بعض ما لم ينشر من شعر الصنوبري، مجلة المورد، المجلد الرابع، العدد الرابع، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1975م.